

تفسير البحر المحيط

. @ 261 @

{ مَن جَاءَ بِإِلْحَسَنَةٍ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُطْلَمُونَ } روى الخدري وابن عمر أنها نزلت في الأعراب الذين آمنوا بعد الهجرة ضوعفت لهم الحسنة بعشر وضوعف للمهاجرين تسعمائة ذكره ابن عطية . وقال : يحتاج إلى إسناد يقطع العذر ؛ انتهى . ولما ذكر أنه ينبغيهم بفعلهم ذكر كيفية المجازاة ولما كان قوله : { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا } مشعراً بقسمة ممن ثبت على دينه قسم المجازين إلى جاء بحسنة وجاء بسيئة ، وفست الحسنة بالإيمان وعشر أمثالها تضعيف أجوره أي ثواب عشر أمثالها في الجنة ، وفست السيئة بالكفر ومثلها النار وهذا مروى عن الخدري وابن عمر . وقال ابن مسعود ومجاهد والقاسم بن أبي بزة وغيرهم : الحسنة هنا لا إله إلا الله والسيئة الكفر ، والظاهر أن العدد مراد . وقال الماتريدي : ليس على التحديد حتى لا يزداد عليه ولا ينقص منه بل على التعظيم لذلك إذ هذا العدد له خطر عند الناس أو على التمثيل كقوله : { كَعَرَضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } . وقال : { مَن جَاءَ } ولم يقل من عمل ليعلم أن النظر إلى ما ختم به وقبض عليه دون ما وجد منه من العمل فكأنه قال : من ختم له بالحسنة وكذلك السيئة ؛ انتهى . وأنت عشراً وإن كان مضافاً إلى جمع مفرد مثل وهو مذكر رعيّاً للموصوف المحذوف ، إذ مفردة مؤنث والتقدير فله عشر حسنات أمثالها ونظيره في التذكير مررت بثلاثة نسابات راعى الموصوف المحذوف أي بثلاثة رجال نسابات . وقيل : أنت عشراً وإن كان مضافاً إلى ما مفردة مذكر لإضافة أمثال إلى مؤنث وهو ضمير الحسنة كقوله : { يَلَا تَقِطُهُ بَعْضُ السَّيِّئَةِ رَءَاةً } قاله أبو علي وغيره . وقيل : الحسنة والسيئة عامان وهو الظاهر وليساً مخصوصين بالكفر والإيمان ويكون { وَمَن جَاءَ بِإِلْحَسَنَةٍ } مخصوصاً بمن أراد الله تعالى وقضى بمجازاته عليها ، ولم يقص أن يغفر له وكونه له عشر أمثالها لا يدل على أنه يزداد إن كان مفهوم العدد قوياً في الدلالة إذ تكون العشر هي الجزاء على الحسنة وما زاد فهو فضل من الله كما قال الله تعالى يضاعف لمن يشاء . وقرأ الحسن وابن جبير وعيسى بن عمر والأعمش ويعقوب والقزاز عن عبد الوارث عشر بالتنوين أمثالها بالرفع على الصفة لعشر ولا يلزم من المثلية أن يكون في النوع بل يكفي أن يكون في قدر مشترك ، إذ النعيم السرمدي والعذاب المؤبد ليسا مشتركين في نوع ما كان مثلاً لهما لكن النعيم مشترك مع الحسنة في كونهما حسنتين والعذاب مشترك مع